JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ
العدد الثاني والأربعون
(٥٣١) -(٥٤٦)

مراجعة موضوع المدن الساسانية من منظور التاريخ وعلم الآثار

م. ابتسام علي حواس العويد
جامعة واسط/كلية العلوم /قسم علوم الارض

ehawass@uowasit.ed.iq

المستخلص:

تحتل المدينة، بوصفها شكلاً محدداً للعلاقات الاجتماعية والإنسانية، مكانةً خاصة في التاريخ وعلم الآثار، وتتجلى هذه الأهمية في اعتبار تأسيس أولى المدن وتشكيل أولى المؤسسات الحضرية نقطة تحول في مسيرة تحول وتطور المجتمعات البشرية، وقد تناول كتاب "المدن الساسانية" بالبحث والتحليل الشكل المتطور للمدينة والتحضر في القرون الأخيرة من العصور القديمة، وهذا الكتاب من تأليف رضا مهر آفرين، ونُشر عام ٢٠١٤ من قِبل مؤسسة دراسة وتجميع كتب العلوم الإنسانية الجامعية، ومع أن الكتاب المذكور يتضمن مجموعة قيّمة من المعلومات حول بعض المدن الساسانية الشهيرة، إلا أنه، كأي عمل علمي آخر، إيجابياته فانه لا يخلو من بعض السلبيات ونقاط ضعف والتي سنعرضها في مقالنا، وبشكل عام، يمكن تلخيص نقاط ضعف هذا الكتاب في عدم الاستخدام الشامل للمصادر ، فضلاً عن بعض العيوب في محتوى الكتاب.

الكلمات المفتاحية: التحضر، العصر الساساني، مراجعة كتاب.

Sasanian cities from a historical and archaeological perspective

Ebtisam Ali Hawas
University of Wasit/College of Science/Department of Earth Sciences
ehawass@uowasit.ed.iq

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

Abstract

The city، as a specific form of social and human relations، occupies a special place in history and archaeology. This importance is evident in the fact that the establishment of the first cities and the formation of the first urban institutions represent a turning point in the transformation and development of human societies. The book "Sasanian Cities" examines and analyzes the evolving form of the city and urbanization in the later centuries of antiquity. Authored by Reza Mehr Afarin and published in 2014 by the Institute for the Study and Compilation of University Humanities Books، this book، while containing valuable information about some famous Sasanian cities، like any scholarly work، has its strengths and weaknesses، which we will discuss in this article. In general، the book's weaknesses can be summarized as a lack of comprehensive use of sources، in addition to some shortcomings in its content.

Keywords: Urbanization، Sasanian Era، Book Review.

اولًا: المقدمة

تُعدّ مفاهيم "المدينة" و"التحضر" و"المواطنة" من المفاهيم التي تُناقش في مختلف التخصصات والاتجاهات العلمية، مثل الجغرافيا، والهندسة المعمارية، والتخطيط العمراني، وعلم الاجتماع، والعلوم الاقتصادية، والعلوم السياسية، والتاريخ، وعلم الآثار ، وتتبع التغطية الواسعة لهذه المفاهيم من تعقيد ظاهرة المدينة وشموليتها، فالمدينة ليست مجرد ظاهرة موضوعية وملموسة، بل هي أيضاً مفهوم مجرد نشأ من الفكر الإنساني، وشكّل شبكة واسعة من العلاقات الإنسانية، وما يُسمى "مدينة" في أي مستوطنة، بالإضافة إلى امتدادها المكاني المتمثل في كثافة السكان، وكثافة المساكن، وترابط الممرات، يشمل ظواهر غير ملموسة تطورت نتيجة لتفاعل المؤسسات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية؛ لذا، لدراسة المدينة في أي حقبة تاريخية، لا بد من تحديد

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

الاتجاهات التاريخية التي أثرت في مفهوم المدينة ووظيفتها، ومن ثم وبالاستناد إلى هذه المعرفة، يتم وصف وتحليل مظاهرها المادية.

لقد اكتسبت المدن القديمة أهمية بالغة في القرون الماضية، إذ أولى الباحثون اهتمامًا كبيرًا لمراحل التطور التاريخي للمجتمعات البشرية، وقد أدى اكتشاف مستوطنات واسعة النطاق في الهضبة الإيرانية وبلاد ما بين النهرين ومصر ووادي السند، والتي ضمت أحياءً عديدة ومبانٍ ضخمة كالمعابد والقصور، واستفادت من بنى تحتية خدمية متطورة كشبكات المياه والطرق، إلى اعتبار نشأة المدن نقطة تحول في تاريخ التطور الاجتماعي البشري، وبداية التمدن مرحلة جديدة في تطور المجتمعات البشرية وأنظمة المعيشة، وليس من قبيل المصادفة أن گوردن چايلد، عالم الآثار الشهير في القرن العشرين، قدّم نشأة المدن كدليل على ثورة التحضر في مسيرة تطور المجتمعات البشرية (چايلد، ٢٥٣٧، ١٩٠، ٢٣٩).

لكن منذ الألفية الرابعة قبل الميلاد، حين ظهرت أولى المدن، وحتى القرن الثالث الميلادي، حين استولى الساسانيون على السلطة، أتيحت فرصٌ وافرةٌ لنمو العناصر والمؤسسات الحضرية، وتزامن تطور المدينة مع صعود الساسانيين، وقد اكتسبت المدينة مكانةً مرموقةً في ساحة القوة السياسية والاجتماعية، حتى أن مؤسس تلك السلالة، أردشير بابكان، أسس مدينةً في كل أرضٍ فتحها (هدايت ١٣٤٢: ١٨٢-١٨٣، ١٨٤، ٢٠٢؛ الطبري ١٩٩٧: ٥٨٤-٥٨٥)،لقد أصبح إقدام أردشير على بناء المدن تقليدًا في الخطاب السياسي للساسانيين، واستخدم خلفاؤه المدينة كأداة للتعبير عن قوتهم وإظهارها(الحاكم النيسابوري ١٩٩٦ : ١٩٨؛ مجمع التواريخ والقصص ١٣٧٩ :٦٤ ؛ الثعالبي ١٩٦٣: ٣٣٨؛ ابن البلخي ١٩٩٩: ١٩٥-١٩٦).

أدى تطور أسس المدن خلال العصر الساساني إلى زيادة تعقيدها، بعبارة أخرى، خلال العصر الساساني، بلغت العناصر والعوامل التي شكلت المدينة درجة عالية من التعدد والتنوع ، وقد أدت العلاقات المعقدة التي كانت قائمة بين هذه العناصر إلى نقل شكل المدن وطبيعتها إلى عصر جديد، إذ لم تكن المدينة في العصر الساساني مجرد مكان لحياة المجتمع البشري وتأسيسه، بل كانت أيضًا مركزًا لأنشطة المؤسسات الدينية والعسكرية والاقتصادية والإدارية، لقد امتلكت كل مؤسسة من هذه المؤسسات شبكة معقدة من القوى البشرية والتسلسلات الهرمية التنظيمية التي انخرطت في إدارة المدينة، وفي الواقع، اكتسبت المدن الساسانية أهميتها نتيجة لتفاعل مختلف عناصر المؤسسات

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

الحكومية مع أفراد المجتمع؛ لذا، فإن فهم المدن الساسانية يتطلب أولًا فهم العلاقات التي أدت إلى ظهورها وازدهارها في تلك الفترة.

تضمن مقالنا مقدمة ومبحثين فضلًا عن الاستنتاج وقائمة المصادر وكان عنوان المبحث الاول تعريف كتاب المدن الساسانية، حيث عرفنا فيه كتاب المدن الساسانية من حيث مؤلفه وما تضمنه من فصول بشكل عام، اما المبحث الثاني فتطرقنا خلاله الى نقد محتوى كتاب المدن الساسانية ، وتحدثنا فيه عن سلبيات كل فصل من فصول الكتاب على حدة ومن الله التوفيق.

ثانيا – تعريف كتاب المدن الساسانية

سعى رضا مهر افرين في كتابه "المدن الساسانية"، إلى تقديم وتحليل جوانب المدن والتوسع الحضري في العصر الساساني، فقد صدر هذا الكتاب، الذي يتألف من ١٩٩ صفحة نصية بالإضافة إلى سبع صفحات من الصور الملونة، عام ٢٠١٤ عن مؤسسة دراسة وتجميع كتب العلوم الإنسانية في الجامعات (سمت) ومركز البحث والتطوير في العلوم الإنسانية، ويتألف الكتاب من سبعة فصول منفصلة، فضلًا عن فهرس في نهايته.

ففي الفصل الأول، الذي حمل عنوان "التاريخ السياسي والاجتماعي للساسانيين"، عُرضت مناقشات عامة حول تاريخ الساسانيين ومجتمعهم، ويبدأ هذا الفصل باستعراض تاريخ العصر الساساني المبكر وعملية وصول أردشير إلى السلطة، ويستمر بإشارات موجزة إلى أحداث مهمة خلال عهد بعض الملوك الساسانيين، ففي الصفحتين ١٢ و١٣ من الكتاب، يُلخص أهم العوامل التي أدت إلى انهيار الدين والدولة الساسانية، في مكانٍ آخر من الفصل الأول، تطرق المؤلف الى المنطقة الجغرافية للدولة الساسانية، وقد بذل المؤلف جهده لعرض معلومات موجزة عن المنطقة الجغرافية للأراضي الساسانية في أقل من صفحتين، وذلك بالاستشهاد بنقش شابور في نقش رستم فضلا عن آراء الخبراء، كما خصص المؤلف الجزء التالي من الفصل الأول لتسليط الضوء على التنظيم الاجتماعي للساسانيين، ووصف الطبقات الأربع للمجتمع الساساني، وإلى جانب الطبقات الاجتماعية الاخرى، فقد تناول هذا القسم أيضًا تقسيمات البلاط الساساني والعائلات النافذة في تلك الفترة، وفي القسم الأخير من الفصل الأول، تطرق المؤلف الى "الأديان والحركات الدينية في

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

العصر الساساني"، واستعرض فيه تاريخ صعود وسقوط الديانة الزرادشتية خلال العصر الساساني، مع التركيز بشكل أكبر على الحركتين الدينية والاجتماعية لماني ومزدك.

أما الفصل الثاني من الكتاب فكان عنوانه "الجغرافيا التاريخية للمدن الساسانية"، وقد بذل المؤلف جهده في جمع المعلومات التاريخية عن المدن الساسانية ، وقد قُسِّم محتوى هذا الفصل إلى أربعة أقسام:

١- المدن التي بناها أردشير بابكان.

٢- المدن التي بناها شابور الأول.

٣- المدن التي بُنيت من عهد هرمز الأول إلى عهد بيروز.

٤- المدن التي بُنيت من عهد بيروز إلى نهاية الإمبراطورية الساسانية.

أما القسم الأخير من الفصل الثاني، فكان عنوانه "مدن ومبانٍ أخرى"، وهو بالأساس مخصص للأعمال التي شيدها غير الملوك الساسانيين، ويستند هذا الفصل إلى أقوال القدماء الذين وصفوا المدن قبل الإسلام أو مؤسسيها في كتبهم، كما أدرج المؤلف في متن الفصل الثاني جداول تُوجز المراجع الواردة في النصوص التاريخية المتعلقة بالمدن الساسانية، وباستثناء رسالة بهلوي " مدن إيران" ، فإن المصادر والمراجع الأساسية المذكورة في هذا الفصل من الكتاب هي في الواقع السجلات والملاحظات الجغرافية التي كتبها وجمعها المؤرخون والجغرافيون المسلمون.

أما الفصل الثالث من الكتاب، فكان بعنوان "المدينة وشكلها في العصر الساساني"، ويُعد هذا الفصل في الواقع أساسًا للدخول في صلب موضوع الكتاب، فقد سعى المؤلف أولًا إلى استكشاف مفهوم المدينة بالاستناد إلى أساطير ومعتقدات الساسانيين، وفهم طبيعة المدينة بالاستعانة بآراء الخبراء في هذا المجال، مثل وبر وراپاپورت، وخصّص المؤلف الجزء الرئيسي من الفصل الثالث لمناقشة العوامل المؤثرة في نشأة المدن الساسانية، حيث يُشرح دور العوامل الدفاعية والعسكرية، والدين والمعتقدات الدينية، والعوامل السياسية والإدارية، والتجارة، والموقع الجغرافي والمناخي المناسب في تشكيل المدينة، وقد درس المؤلف دور كل عامل من العوامل المذكورة آنفًا في نشأة المدن عبر مختلف الحقب التاريخية، وذلك من منظور تاريخي، وفي جزء آخر من الفصل الثالث، تطرق

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

المؤلف الى "البنية المادية للمدينة" وتطرق خلالها الى الأجزاء الرئيسية للمدن الساسانية، بما في ذلك الخندق والبرج والسور والبوابات والشوارع ، ومقر الحاكم ،والشارع الأوسط والشارع الخارجي والسوق، مع ذكر أمثلة لمدن من العصر الساساني، كما تطرق المؤلف في عنوان جانبي وفي الفصل ذاته الى "المرافق داخل المدينة"، ابدى خلالها شرح موجز لموقع القصر والمعبد في المدن الساسانية، وفي القسم الأخير من الفصل الثالث، وبناءً على "النظرية الوظيفية"، تم التطرق الى شكل المدن الساسانية، مع تقديم أمثلة، وتقسيمها إلى ثلاث مجموعات:

١- المدن الدائرية

٢- المدن المستطيلة

٣- المدن غير المنتظمة

لقد عد مؤلف الكتاب هندسة المدن مرتبطة بوظيفة كل مدينة، وأدرج تفسيرات كونية في التصميم، لم تسلم مدن مثل غور من تلك التأثيرات.

خصص المؤلف الفصل الرابع لوصف وشرح مدن العصر الساساني المدورة وتناول هذا الفصل وصف مدن داراب گرد، أردشير خوره، تخت سليمان، ومرو، كما وصف المؤلف أبرز معالم هذه المدن، وتطرق إلى القصور والمعابد الواقعة في منطقتي أردشير خوره وتخت سليمان، إلى جانب وصف هذه المناطق، كما تضمن الفصل خرائط توضح الشكل العام لهذه المستوطنات.

وتطرق المؤلف في الفصل الخامس من الكتاب الى المدن المستطيلة في العصر الساساني، ووفقًا للمؤلف، كان بناء المدن المستطيلة شائعًا في إيران حتى قبل العصر الساساني، وتُعد مدن بيشابور، جندي شابور، إيوان، كرخه، سيراف، نيشابور، ورومية أمثلة على هذا النوع من المدن التي شُيدت خلال العصر الساساني وفي هذا الفصل ايضا ، وصف المؤلف المدن المذكورة، وبحث عن أسمائها ورموزها في النصوص التاريخية، ففي وصف بيشابور، يشرح هيكل المدينة وعناصرها المادية استنادًا إلى نتائج الحفريات الأثرية، كما وصف المباني الهامة فيها، أما في جندي يشابور، فقد حال نقص الحفريات الأثرية الواسعة دون وصف الأعمال المعمارية لهذه المدينة وإجراء التحليل الأثري لها؛ لذلك اقتصر المؤلف على ذكر الأوصاف والتعريفات الواردة في النصوص، وفي وصفه لسيراف، أولى المؤلف اهتمام أكبر للدراسات الميدانية والحفريات الأثرية، وإلى جانب وصف موجز

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

للجغرافيا التاريخية لهذه المدينة، تم التركيز على نتائج أنشطة علماء الآثار، وفي نهاية هذا الفصل، اكتفى المؤلف بذكر بعض الأوصاف التاريخية لنيشابور.

وخصص المؤلف الفصل السادس، لدراسة الشكل الاخير من المدن وكان عنوانه "مدن بلا شكل منتظم (غير منتظمة)"، واحتوى الفصل على مجموعة متنوعة من المواقع الساسانية، ويرى المؤلف أن الشكل الهندسي غير المنتظم لهذه المدن يعود إلى الظروف الجغرافية للمكان، ومن الأسباب الأخرى التي ذكرها المؤلف لشكل المدن الساسانية غير المنتظم غياب تصميم أو خريطة مسبقة للمدن التي توسعت بشكل عشوائي، وربما تشكلت على أساس قرى سابقة، ففي هذا الفصل، تطرق المؤلف الى مدن مثل استخر ، رام شهرستان، طيسفون، وقصر شيرين، كأمثلة على المدن غير المنتظمة في العصر الساساني، وتطرق الى المعلومات المتعلقة بكل موقع من المواقع المذكورة بخلفية تاريخية، وقد قدم المؤلف وصفًا للأعمال المعمارية والأثرية والأدلة التي تُشير إليها، ففي موضوع "طيسفون"، توسع المؤلف في شرحه ووصفه لطيسفون ليشمل مدن سلوقية، ولاش آباد، أردشير، درزنيدان، رومية، واسپانبر، التي شكّلت مجتمعةً مدينة المدائن، وقد استُقيت معظم المعلومات المتعلقة بمدينة المدائن من نصوص تاريخية، مع وصف موجز للخصائص المعمارية لقصر كسرى، كما تضمن الفصل معلومات عن قصر شيرين، بما في ذلك ما ذكر عنها في النصوص التاريخية، والوصف المعماري لقصري خسرو وچهارقاپي، وفي نهاية هذا الفصل، يُقدّم المؤلف وصفًا دقيقًا ومفصّلًا لمدينة رام شهرستان، ورغم عدم إجراء أية حفريات أثرية في هذه المنطقة، فقد حاول المؤلف قدر الامكان تقديم هذه المدينة في سياق منطقة في سيستان تُعرف باسم تپه شهرستان(تلة شهرستان)، وذلك بالاستناد إلى مصادر تاريخية وبحوث ميدانية.

يُلخص المؤلف في الفصل السابع والأخير من الكتاب محتوى الفصول السابقة، ويبدأ هذا الفصل بالمنهج التاريخي الساساني لدراسة المدينة، ويُلقي نظرة موجزة على سجل التطور الحضري للملوك الساسانيين، ويتناول هذا الفصل بإيجاز ما ذُكر في الفصول الأولى من الكتاب، كمفهوم المدينة، والعوامل المؤثرة في تكوينها، وشكل المدن الساسانية، ويختتم المؤلف الفصل بالتأكيد على أهمية المنهج التاريخي في إعادة بناء ملامح بعض المدن الساسانية، ويخلص إلى أن الملوك الساسانيين راعوا البنى الاجتماعية والسياسية لعصرهم عند بناء المدن.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

ثالثا : نقد محتوى كتاب المدن الساسانية

يُقدّم كتاب "المدن الساسانية" مجموعة شاملة وقيمة ومفيدة من المعلومات حول التخطيط العمراني والعمارة في العصر الساساني، ورغم وجود بعض الملاحظات على شكل الكتاب ومضمونه فان تصحيحها في الطبعات القادمة يمكن أن يُحسّن من جودته، وسنتناول في مقالنا اولا الأمور التي تم تجاهلها في تصميم الغلاف وبعد ذلك ستتم مراجعة محتوى الكتاب نفسه.

زُين غلاف الكتاب بصورة جوية لمدينة غور (فيروز آباد) ما أضفى عليه ترابطًا فكريًا مع عنوان الكتاب ، ولكن ما يُؤسف له ان المؤلف لم يذكر اسم مُصور هذه الصورة، المصور السويسري جورج غيرستر، وكذلك لم يذكر اسم مصمم الغلاف، ومع ذلك فإن الكتاب قد صُمم على وفق التصميم المعتاد للكتب، وقد أضفت طباعة الصور الملونة في نهاية الكتاب لمسة جمالية مميزة على الكتاب ،كما أن تصميم الصفحة ، واختيار الخط للعناوين والمحتويات تتميز بالبساطة والوضوح، وباستثناء بعض الحالات القليلة، لا توجد أخطاء إملائية كثيرة في النص، كما أن سلاسة الكتابة وبلاغة الأسلوب، وخلوّ النص من الكلمات غير المألوفة، قد وفّرا للقارئ نصًا مفهومًا ومعبرًا، الا انه توجد بعض الجمل والعبارات في نص الكتاب لم تُحرَّر، وكان من الممكن تدارك هذه الأخطاء القليلة في النص لو خضعت لمراجعة دقيقة من قبل محرر متخصص.

تُقدّم الجداول الواردة في الفصل الثاني من الكتاب "الجغرافيا التاريخية" ملخصًا مفيدًا للمراجع المتعلقة بالمدن الساسانية في النصوص التاريخية، كما تُسهم الخرائط المُدرجة في متن الكتاب والرسوم التوضيحية الملونة في نهايته في فهم المادة العلمية، لكن مع ذلك، كان من الأفضل لو أُدرجت الرسوم التوضيحية الملونة في الصفحات الوسطى من الكتاب، بما يتناسب مع محتواه، مع توضيح العلاقة بينها وبين فقرات الكتاب وعباراته من خلال ترقيم كل رسم توضيحي.

على الرغم من افتقار الكتاب لمقدمة، قدم المؤلف في الفصل الثالث تقديم مدخل إلى الموضوع الرئيسي للكتاب، ألا وهو المدن الساسانية، ، إذ إنه لا يمكن فهم المدن الساسانية دون دراسة تاريخ تلك الحقبة الممتدة لأربعمئة عام، وقد خصص مؤلف الكتاب فصلاً كاملاً لهذا الموضوع، مشيرًا إلى الخطوط العريضة للتاريخ السياسي والاجتماعي للساسانيين، ومع أن الفصل الأول قدم معلومات

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

موجزة ومفيدة عن تاريخ الساسانيين منذ نشأتهم وحتى انهيارهم، إلا أنه لا يتمحور حول المحور الرئيسي للكتاب، أي المدن الساسانية، وكان من الأفضل لو تم تجميع تاريخ الساسانيين بالاعتماد على الأحداث التاريخية التي أثرت في مدن تلك الفترة فضلاً عن الدوافع التاريخية لتأسيس المدن وتوسعها وتدميرها، مع التركيز على المدن التي لعبت دورًا هامًا وفعالًا في الساحات التاريخية ، وبهذا، من جهة، أصبح فصلُ التاريخ السياسي ذا مغزى، ومن جهة أخرى، أُقيمت صلة منطقية بين الفصول من الرابع إلى السادس وتاريخ العصر الساساني، كما أن الاهتمام بالعمليات التاريخية المتعلقة بالفلسفة الوجودية للمدن الساسانية يُسلط الضوء على أهمية عوامل ثقافية أخرى، مثل طرق التواصل، ويفتح آفاقًا جديدة للدراسات المستقبلية، ويُلاحظ النقص نفسه في شرح التنظيم الاجتماعي للساسانيين والأديان والحركات الدينية في العصر الساساني، إذ كان لكلا العاملين المذكورين آنفًا أثرٌ لا يُنكر على هوية المدن الساسانية، لكن لم تُحدد علاقتهما بالمدن الساسانية من حيث الشكل والوظيف.

بذل مؤلف الكتاب جهدًا استثنائيًا في الفصل الثاني، من خلال الاستعانة بالنصوص التاريخية الفارسية والعربية، واستعرض أعمال معظم المؤرخين والجغرافيين المسلمين، إلا أنه لم يُعر اهتمامًا يُذكر للسجلات الرومانية والسجلات التي كُتبت في نفس فترة العصر الساساني، ولا شك أن الكتابات التاريخية مثل كتابات هيروديان ومارسيليانوس وبروكوبيوس، وحتى بعض المصادر الأرمنية والسريانية، تتضمن معلومات عن المدن البارثية والساسانية (پيگولوسكايا ١٣٨٧)، كما أن آراء خبراء مثل لوكونين (١٣٨٧)، برونر (١٣٨٧)، ويتكام (Whitcmb 1985)، ونكه (١٣٨١)، آدامز (Adams 1965، 1981)، موروني (Morony 1982) لم تُستخدم بالقدر الكافي في دراسة طبيعة ونسيج المدن الساسانية في المناقشات النظرية، إذ إن الرجوع إلى نظرياتهم، ولو بنظرة نقدية، كان من شأنه أن يفتح آفاقًا جديدة لموضوع المدن والتخطيط العمراني في العصر الساساني.

تضمن الفصل الثالث وما يليه المحتوى الرئيسي للكتاب، والذي يستكشف مفهوم المدينة وأمثلة عليها في العصر الساساني، إذ تناول الجزء الأول من هذا الفصل مفهوم المدينة في إيران القديمة وتاريخها من خلال الأدلة الأثرية والروايات الأسطورية، ورغم إقرار المؤلف بأن التعريفات الحديثة قد لا تشمل مفهوم المدينة في العصر الساساني، فقد استُخدمت تعريفات ماكس فيبر، غوردون تشايلد، وراپاپورت فيما يتعلق بالمدينة، إذ أن ضعف ارتباط هذه التعريفات بالمدن الساسانية يُشتت النقاش

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

قليلاً، ثم يعود المؤلف إلى مصطلحات المدينة في إيران القديمة وموقعها الإداري في الجغرافيا السياسية لإيران الساسانية، ويُقدم مادة مفيدة وغنية بالمعلومات حول الأسس النظرية للمدن في إيران القديمة والعصر الساساني، ثم يُشير المؤلف إلى العوامل المؤثرة في نشأة المدن القديمة، ويُوفر أساسًا نظريًا أكاديميًا لتطوير النقاش.

في مبحث البنية المادية للمدن شرح العناصر التي تُشكل المدينة في العصر الساساني شرحًا صحيحًا ودقيقًا، مع ذكر بعض الأمثلة، أما في مبحث المرافق والمؤسسات الحضرية، فقد تم التركيز على القصر أكثر من غيره من العناصر، وفي بنية غير متناسقة، إذ خُصص أكثر من ثمانين بالمئة من النص لوصف القصور.

على الرغم من المناقشات الأساسية المفيدة في فهم وظيفة وبنية المدن الساسانية، فقد تجاهل المؤلف جميع المناقشات النظرية السابقة في القسم المتعلق بشكل المدن الساسانية، واستند إلى نظرية لينج، وجعل الشكل الهندسي أساسًا لتقسيم المدن، ومن الواضح ان نظرية لينج تستند الى الشكل المرئي والنسيج الحيوي للمدن الحديثة، ولا يمكن تعميم ذلك على المدن الساسانية التي لم يتم تحديد نسيجها بشكل صحيح بعد، والتي خضعت للعديد من التغييرات والتحولات عبر الزمن، وعلى سبيل المثال، لا يمكن استخدام وصف حمد الله المستوفي الخيالي، الذي يقول: "الشوش مثل الصقر وشوشتر مثل الحصان"، كأساس لتحليل علمي للمدينة، فالحقيقة أننا ما زلنا نجهل الكثير عن البنية الداخلية للمدن الساسانية، ما يحول دون إجراء مناقشات وظيفية عنها، وهناك بعض الاعتراضات على الأمثلة التي ذكرها المؤلف كأمثلة على الأشكال الهندسية، فخلافًا لما ورد في كتاب "المدن الساسانية"، كانت داراب گرد، وفقًا لحمزة الأصفهاني في القرن الرابع الهجري، مثلثة الشكل في الجاهلية، ثم بُني حولها سور دائري بأمر من الحجاج بن يوسف (حمزة الأصفهاني، د.ت : ٣١)، أما الجزء السكني من مرو الساسانية، فكان مربعًا تقريبًا (سيدي، ١٣٨٦ :٧٧)، وكان مقر الحكومة أو قلعتها فقط محاطًا بسور لدائري، أما المنطقة البيضاوية الشكل المسوّرة والمعروفة باسم تخت سليمان ليست مدينة، بل هي بالأحرى مجموعة من المؤسسات الإدارية والدينية (Kennedy 2006:15)، كما توجد شكوك جدية حول انتماء تصميم حصن بيشابور إلى العصر الساساني (مهريار، ١٣٧٩ :١٠)، وقد شهدت جندي يشابور تغييرات عديدة خلال العصر الإسلامي(Adams and Hansaen 1968) وفي تعليق غريب، ذُكرت سيراف وحصنها أيضًا كإحدى المدن

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

المستطيلة، مع أننا نعلم أن الجزء المستطيل من سيراف، الذي كان أُستخدم كحصن عسكري فقط هو الذي بُني بهذا الشكل(Whitehouse 1972 :68-71)، كما انه لا يوجد دليل على وجود شكل مستطيل أو حصن في نيشابور(Labbaf and Kervran 2007)، ولم يتم بعد تحديد هوية استخر المكتشفة في العصر الساساني بشكل قاطع (Whitcomb 1979 :369) وفي أحدث تصنيف لمواقع رام شهرستان، طيسفون ، وقصر شيرين، صُنفت هذه المدن ضمن المدن غير المنتظمة، ولم يتم شرح تأثير شكل هذه المدن على وظيفتها بشكل جيد.

وصفت الفصول الثلاثة من الرابع إلى السادس من الكتاب الأعمال المذكورة آنفاً استناداً إلى التقسيم المذكور في الفصول الثلاثة، وبدلاً من النظر الى المدينة ككل يشمل مختلف المؤسسات الاجتماعية المتنوعة، وشبكة من الممرات والبنى التحتية الخدمية، وساحة لتفاعل النقابات والطبقات الاجتماعية، وشكلاً متجدداً من المعتقدات والقناعات، ومساحة معيشة المجتمع الساساني، يتم وصف أعمال معمارية متناثرة في المناطق الساسانية، وفي الواقع، لا يوجد فرق بين هذا الوصف عن وصف العمارة الساسانية.

إن المعلومات المفيدة التي جمعها المؤلف عن المواقع والمباني الساسانية ،كان من الممكن إثراء هذا العمل بالرجوع إلى مقالات وكتب وتقارير أثرية أحدث، ومن بينها، يمكن ذكر المنشورات التالية حول الدراسات الجديدة للمدن والمعالم الساسانية، والتي لم يتناولها مؤلف الكتاب: وصف ديتريش هوف لاكتشافاته الحديثة في أردشير خوره (Huff 2008 :48-49)، والتنقيبات الحديثة للبعثات الأثرية البريطانية والتركمانستانية في قلعة مرو(Herrmann et al،1998) ؛ واكتشافات ناصر نوروزاده في بيشابور في العقد الماضي(نوروزاده ١٣٨٥) ؛ ونظرة محمد مهريار الجديدة على نسيج هذه المدينة (مهريار ١٣٧٩)؛ والحفريات الواسعة التي أجراها الوفد الإيراني الفرنسي المشترك في نيشابور، والتي أدت، خلافًا للادعاءات السابقة، إلى تحديد القطع الأثرية الساسانية في كوهاندج بنيشابور(Labbaf and Kervran 2007)، والاكتشافات الحديثة لعلماء الآثار الإيرانيين والإيطاليين(Fontana et al 2012) ، ودراسات أحمد علي أسدي في أستخر (اسدي ٢٠٠٥)؛ والقطع الأثرية الساسانية والبارثية من التنقيبات التي أوردها إريك شميدت(Schmidt 1939 :119-121) وليونيل بير(Bier 1983) في استخر ، فضلا عن التنقيبات الإيطالية الواسعة في طيسفون (Cavallero 1966، Gullini and Invernizzi 1966 ; 1967،1967-1968

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

1969، 1970–1971، 1973–1974، 1977)، فضلًا عن ذلك لا يوجد معيار واضح لاختيار المواقع الموصوفة في الكتاب، فإذا كان تخت سليمان وقصر شيرين يُعتبران من بقايا المدن الساسانية، فلماذا لم تُدرس مواقع أخرى مهمة مثل قصر أبو نصر، بنديان، حصار ، چال ترخان، سوسة، كيش، وحاجي آباد؟ لذا، فإن هذا العمل ليس شاملاً، مع ذلك، فقد جُمعت في هذا الكتاب مجموعة قيّمة من المواد التي تُزوّد الطلاب بمعرفة عامة وموجزة عن المواقع الساسانية.

من أبرز النواقص في هذا الكتاب غياب خريطة توضح توزيع المدن الساسانية في أرجاء الإمبراطورية الساسانية، ويتجلى هذا النقص بوضوح في الفصل الثاني الذي يتناول الجغرافيا التاريخية للمدن الساسانية، وفي الفصول من الرابع إلى السادس التي تتناول الآثار الأثرية لهذه المدن، ورغم أن مواقع العديد من المدن المذكورة غير مذكورة في النصوص التاريخية، إلا أن العديد من الخرائط المنشورة تتضمن آراء خبراء في هذا المجال (انظر برونر ١٣٨٧: ١٥٢)، وكان بإمكان المؤلف أن يضيف خريطة جديدة تعوض هذا النقص، وعلى الرغم من الغموض الذي يكتنف مواقع هذه المدن، إلا أن هذا النقص يبقى قائما ،أن موقع جميع المواقع الأثرية القديمة من العصر الساساني معروفة في النصوص التاريخية، ومن المتوقع إعداد خريطة تفصيلية لتوزيع تلك المواقع.

قدّم المؤلف النتائج أيضًا في الفصل السابع بعنوان "ملخص"، ووفقًا لما ورد في الفقرة الأولى من الصفحة ١٨٩ من الكتاب، تتميز بعض المدن الساسانية بشكلها المميز، المستمد من الأهداف الدينية والثقافية الوظيفية لتلك الفترة، وقد حُدِّد شكلها بمرسوم ملكي، واستنادًا إلى ما ورد في الفصول الثلاثة الأولى من الكتاب، كان من المتوقع شرح أثر هذه الأهداف على الشكل الهندسي للمدن لإثبات صحة ادعاء المؤلف في هذا الشأن.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

الاستنتاج

على الرغم من أن العصر الساساني يُشير إلى حقبة تاريخية، إلا أنه لا ينبغي إغفال حقيقة أنه امتد لأكثر من أربعمائة عام، وخلال هذه الفترة، شهدت جميع المؤسسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية تطورًا مستمرًا، ففي بعض الأحيان، كانت الاعتبارات السياسية، وفي أحيان أخرى، كانت القضايا الداخلية، تُؤدي إلى تغييرات في سياسات السلطة الحاكمة، بل وحتى في نظرتها للعالم، كما أن طبيعة العلاقات الساسانية مع جيرانها الشرقيين والغربيين، سواء كانت ودية أم عدائية، رسمت نمطًا متفاوتًا في عملية صنع القرار لدى الحكام، وبالمثل، أثرت المقاربات الدينية للحكومة تجاه المنظمات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية على دور الدين والهياكل الدينية في تحديد نشأة المدن الساسانية وتطورها، حتى أن الموقع الجغرافي والكوارث الطبيعية أثرت أيضًا على تحركات الساسانيين السياسية والاجتماعية، كانت المدن تجسيدًا لكل العمليات المذكورة آنفًا، وكان تطورها ونموها نتيجة لأحداث طبيعية وثقافية تغيرت في كل مرحلة من مراحل التاريخ الساساني، في الواقع، يكمن سرّ الحكم الساساني الطويل الأمد في قدرتهم على التكيف مع ظروف العصر، ويمكن للمدن أن تُظهر بوضوح كأدلة مادية على هذا التكيف بطرقٍ شتى، فقبل سنوات، حاولت نينا پيگولوسكايا شرح خلفية المدن السامانية وبنيتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في كتابها "مدن إيران في العصرين البارثي والساساني" (پيگولوسكايا ١٣٧٨) وبشكل خاص في الجزء الذي يتناول المدن الساسانية من ذلك الكتاب، تمكنت پيگولوسكايا من تجاوز النطاق النظري وتقديم أمثلة تدعم وجهة نظرها، وقدّمت وصفًا شاملاً لمكونات وخصائص المدن الساسانية، إلا أن نقص النتائج جعلت أبحاثها الأثرية على مستوى التعبير عن فرضيات تاريخية، ورغم قلة المعلومات المتوفرة حول الأدلة المادية للمدن الساسانية، يُؤمل أن يُسهم الاعتماد على الحفريات الحديثة في المواقع الساسانية، والنظرة الشاملة إلى المواد الثقافية الأخرى، بما في ذلك العملة ،الاختام، الوثائق المكتوبة، والدراسات التاريخية الجديدة، في إحراز تقدم في فهم المدن الساسانية، ونتيجةً لذلك، يُؤمل أن يتناول كتاب حول المدن الساسانية قضايا تتجاوز مجرد شكل المدن الدائرية أو المستطيلة أو غير المنتظمة، وأن يُطوّر مفهوم المدن من خلال دراسة معمقة للمسار المضطرب والمتغير للتاريخ الساساني والظروف البيئية المحيطة به.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

المصادر

أ : العربية

- ابن البلخي (١٩٩٩)، فارسنامه ، حققه وترجمه : يوسف الهادي ، الدار الثقافية الجديدة للنشر.

١. الاصفهاني، حمزة بن الحسن (د.ت)، تاريخ سني ملوك الأرض والانبياء عليهم الصلاة والسلام ، بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة.
٢. الثعالبي ، حسين بن محمد (١٩٦٣) ،تاريخ الثعالبي المشهور بـ (غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم) ، مكتبة الاسدي للنشر والتوزيع، طهران.
٣. الحاكم النيسابوري، محمد بن عبدالله (١٩٩٦)، تاريخ نيسابور.
٤. الطبري، محمد بن جرير (١٩٩٧)، تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) ، ج٢، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، مصر.

ب: الفارسية

٥. اسدي، احمد علي (١٣٨٤) ،بناي موسوم به دروازه شهر استخر معرفي وتحليل كار كرده، در مجموعه مقالات سومين كنگره تاريخ معمارى و شهرسازى ايران به كوشش باقر آيت الله زاده شيرازى ج ٢ تهران سازمان ميراث فرهنگى و گردشگرى.
٦. برونر، كريستوفر جوزف (١٣٨٧)، «تقسيمات جغرافيايي و اداري ماندگاهها و اقتصاد، در تاريخ ايران كمبريج از سلوكيان تا فروپاشى دولت ساسانيان گردآورى احسان پارشاطر، ترجمه حسن انوشه ،ج٣، قسمت دوم تهران امير كبير.
٧. پيگولوسكايا، نينا ويكتورونا (١٣٨٧)، شهرهاى ايران در روزگار پارتيان و ساسانيان، ترجمه :عنايت الله رضا تهران شركت انتشارات علمى و فرهنگى.
٨. چايلد، ورگوردن (٢٥٣٧)، انسان خود را مى سازد ترجمه احمد كريمى حكاك و محمد هل انائى تهران شركت سهامى كتابهاى جيبى.
٩. سيدى، مهدى (١٣٨٦)، جغرافياي تاريخي مرو تهران بنياد موقوفات دكتر محمود افشار يزدى.
١٠. مجمل التواريخ والقصص (١٣٧٩)، نسخه عكسي مورخ ٧٥١ كتاب خانه دولتى برلين ،نسخه برگردانان ايرج افشار و محمود اميد سالار ،تهران، طلايه.
١١. مهر آفرين رضا (١٣٩٣)، شهرهاى ساسانى، تهران: سمت.
١٢. مهريار، محمد (١٣٧٩)، مقدمه بر بيشاپور، رومن گيرشمن ترجمه اصغر كريمى، ج ١، تهران: سازمان ميراث فرهنگى كشور.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

١٣.نوروززاده چگینی، ناصر (١٣٨٥) ،زنده یاد استاد محمد مهریار تأملی در ادامه پژوهشهای باستان شناسی در بیشاپور در مجموعه مقالات سومین کنگره تاریخ معماری و شهرسازی ایران ج ٣ ،به کوشش باقر آیت الله زاده شیرازی تهران سازمان میراث فرهنگی کشور.

١٤.هدایت صادق (١٣٤٢) زند و هومن یسن و کارنامه اردشیر پایکان تهران امیر کبیر.

١٥.وکونین ولادیمیر گریگوریویچ (١٣٨٧)، نهادهای سیاسی اجتماعی و اداری مالیات ها و داد و ستده در تاریخ ایران کمبریج از سلوکیان تا فروپاشی دولت ساسانیان ،گرد آوری احسان پارشاطر، ترجمه حسن انوشه، ج ٣، قسمت دوم، تهران: امیر کبیر.

١٦.ونکه رابرت جی (١٣٨١) ،غرب ایران در دوره پارت – ساسانی تغییر شاهنشاهی»، در باستان شناسی غرب ایران، ویراسته فرانک هول ، ترجمه زهرا باستی تهران سمت.

ج: الاجنبية

17. Adams، Robert MeC. (1965)، Land behind Baghdad: A History of Settlement on the Diyala Plains، Chicago: University of Chicago Press.
18. Adams، Robert McC. (1981)، Heartland of Cities: Surveys of Ancient Settlement and Land Use on the Central Floodplain of the Euphrates، Chicago: University of Chicago Press.
19. Adams، Robert McC. and Donald P. Hansen (1968)، "Archaeological Reconnaissance and Soundings in Jundi Shahpür"، Ars Orientalis، vol. 7.
20. Bier، 1.. (1983)، "A Sculpted Building Block from Istakhr"، Archäologische Mitteilungen aus Iran، vol. 16.
21. Cavallero، M. (1966)، "The Excavations at Choche (presumed Ctesiphon) Area 2". Mesopotamia، 1.
22. Cavaliero، M. (1967)، "The Excavations at Choche Area 2"، Mesopotamia، 2.
23. Fontana، M. V. S. M. Mireskandari et al. (2012)، "Estakhr Project-First Preliminary Report of the Joint Mission of the Iranian Center for Archeological Research، The Parsa-Pasargadae Research Foundation، vol XVI.
24. Gullini، G. and A. Invermizzi (1966)، "First Preliminary Report of Excavations at Selencia and Ctesiphon. Season 1964"، Mesopotamia 1.
25. Gullini، G. and A. Invernizzi (1967)، "Second Preliminary Report of Excavations at Seleucia and Ctesiphon. Season 1965"، Mesopotamia 2.
26. Gullini، G. and A. Invernizzi (1968-69)، "Third Preliminary Report of Excavations at Seleucia and Ctesiphon. Season 1966"، Mesopotamia 3-4.
27. Gullini، G. and A. Invernizzi (1970-71)، "Fifth Preliminary Report of Excavations at Seleucia and Ctesiphon. Season 1969"، Mesopotamia 5-6.
28. Gullini، G. and A. Invernizzi (1973-74)، "Sixth Preliminary Report of Excavations at Seleucia and Ctesiphon. Seasons 1972/74"، Mesopotamia 8-9.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

29. Gullini، G. and A. Invernizzi (1977)، "Seventh Preliminary Report of Excavations at Seleucia and Ctesiphon. Seasons 1975/76"، Mesopotamia 12.
30. Herrmann، G. K. Kurbansakhatov and St. J. Simpson et al. (1998)، "The International Merv Project: Preliminary Report on the Seventh Seaso"، Iran، vol. 37.
31. Huff، D. (2008)، "Formation and Ideology of the Sasanian State in the Context of Archaeological Evidence"، in: The Sasanian Era، V. Sarkhosh Curtis and S. Stewart (eds.).
32. London: IB Tauris.
33. Kennedy، H. (2006)، "From Shahristan to Medina"، Studia Islamica، vol. 102/103.
34. Labbaf، R. A. and M. Kervran (2007)، Nishapur: Seasons 2004-2007، ICHTO-CNRS-Musee du
35. Luvre، unpublished.
36. Morony، M. G. (1982)، "Continuity and Change in the Administrative Geography of Late Sasanian and Early Islamic al-'Iraq"، Iran، vol 20.
37. Schmidt، E. F. (1939)، The Treasury of Persepolis and Other Discoveries in the Homeland of the Achaemenians، Chicago and Illinois: Chicago University Press.
38. Whitcomb، D. (1979)، "The city of Istakhr and the Marvdasht Plain"، in: Akten des VII. Internationalen Kongresses fur Iranische Kunst und Archaologie، Munchen 7-10، Berlin.
39. Whitcomb، D. S. (1985)، Before the Roses and Nightingales: Excavations at Qasri Abu Nasr، Old Shiraz، New York: The Metropolitan Museum of Art.
40. Whitehouse، D. S. (1972)، "Excavations at Sīrāf: Fifth Interim Report"، Iran، vol 10.

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية